

المسيحية ونظرية داروين

(Arabic – Christianity and Darwinism)

أحيائي.. حديثنا اليوم موضوعه: المسيحية ونظرية داروين

مقتبس من بحث كتبه Dr. James Dobson :

مدير المؤسسة الأمريكية Focus on the Family :

ومن كتابات الآخرين عن Charles Darwin | British Naturalist .^١

كتب جيمس دابسون يقول: لقد حاول داروين إثبات أن أشكال الحياة المتعددة تطورت على الأرض من خلية عضوية مفردة [Evolution] كانت تسبح في سائل بدائي يشبه الحساء. في مستنقع أفريقي. وفي لمح البصر تطورت وتكون منها كائنٌ مُعقد التركيب. وبالتطور المستمر لذلك الكائن المُعقد التركيب. جاء الجنس البشري. والمطلوب من الناس: أن يقبلوا تلك النظرية ويؤمنوا بأن الحياة بدأت بتلك البساطة! دون مُخططٍ أو مُنسقٍ أو مُنفذٍ فنيٍّ كان موجوداً. وهو المُصمم والمُنفذ لما صممه. وما يقوله داروين وكل من يؤمنون بنظريته هو أن كل نوعية ارتقت إلى نوعية أخرى بنفسها تلقائياً دون وسيط. والأجهزة العضوية نسجت نفسها بنفسها. وتلاءمت معاً لتعمل مُتضامنة مُتناسقة مُتكاملة. دون وجود قدرة عقلية فائقة تتحكم في تطور الأجهزة العضوية لتتحول من شكل لآخر. ولتجعل هذه الأعضاء تتضامن وتتناسق وتتكامل معاً لتؤدي وظائف حيوية مُعقدة.

إنه عملٌ فذ وإنجازٌ مُعجزٌ عجيبٌ!. الذي يزعم داروين حدوثه تلقائياً وهو أن خلية واحدة من تلقاء نفسها قامت ببناء ذاتها تلقائياً. ففي الواقع يستحيل على بلايين أجهزة الكمبيوتر الحديثة المُطورة أن تؤدي تلك الوظائف الحيوية المُعقدة وأن تقوم بما قامت به الخلية الواحدة من تلقاء نفسها. مُتلازمة مع نفسها مُتناسقة تلقائياً بعضها مع بعضها الآخر. إن الزعم بأن الله ليس له دورٌ في عملية الخلق لا يقوم على واقع ملموس في الطبيعة. بل هو افتراضٌ يُدحض النظرية نفسها ويُفقدُها حتى الشيء الصحيح منها. إنه افتراضٌ لا يقصدُ منه إلا إنكار وجود الله. وهجومٌ ليس له ما يبرره على العلماء المسيحيين الكثيرين الذين يؤمنون بأن العلم ما وصل ولم يصل بأي حال. إلى إنكار أن الخليفة لم توجد بذاتها. بل هي من صنع الخالق القدير الذي خلقها وخلقنا.

إن النظرية الداروينية وحدها هي التي تفترض أن الأشياء التي بلا ترتيب أو تنسيق. يُمكن أن ينشأ عنها تلقائياً أشياءً مرتبة مُنسقة بقدرة ذاتية دون تدخل خارجي. فما نراه في عالمنا الطبيعي هو حدوث العكس تماماً. وهو أن كل شيء بطبيعته يتغير من وضعه المنظم. إلى وضع آخر خالٍ من النظام إلا إذا تدخلت قوة خارجية بفكر مُنسق. لتصونه وتحفظه ليكون في وضعٍ لائقٍ منظمٍ مُنسقٍ. ولتسال رجل الأعمال ماذا يحدث لمشروعاته حين ينشغل عن ملاحظتها والإشراف عليها؟ اسأل صاحب عمارة ماذا يحدث للبناء إذا أهملت صيانته؟. اسأل أمّاً عن أطفالها إذا تركتهم لفترة. هل النتيجة المُتوقعة أن تجدهم في هيئة نظيفة ولائقة أو اتساح وفوضى؟. انظر إلى الحضارات القديمة اليونانية أو الرومانية أو العثمانية. لقد لمعت وازدهرت لفترة ثم انطفأت واندثرت. يوجد ملايين الأمثلة لميل الأشياء إلى الانحدار مع تيار التخلف والاضمحلال والضياع. إن لم توجد قوة خارجية أعظم منها تسيطر عليها لتحفظها وتصونها. إن ما يبدأ في منظر حسن وتكوين مُتلائم ينتهي إلى اضمحلال بتركيه. لم نر شيئاً بدأ ذابلاً ضعيفاً غير مُترابط. ثم انتهى إلى نصارة وقوة وتماسك من تلقاء ذاته.

إن نظرية النشوء والارتقاء والفكرة أن الحياة على الأرض جاءت تلقائياً. دون مُخططٍ أو مُنسقٍ أو مُنفذٍ فنيٍّ كان موجوداً. وأنها لا تزال تلقائياً تتطور وترتقي إلى مستويات أفضل في دائرة غير مُنتهية. تتاقص ما نراه ونلاحظه من يوم إلى يوم ومن دهر إلى دهر. إن إشعياء النبي كتب بالأصحاح الحادي والخمسين منذ ما يقرب من ألفين وسبعمائة عام قائلًا: "الرفعوا إلى السموات عبونكم. وانظروا إلى الأرض من تحت. فإن السموات كالتحان تضمحل. والأرض كالثوب تبلى. وسكانها كالبعوض يموتون. أما خلاصي فإلى الأبد يكون. وبري لا

يُنْقَضُ". وَعَبَّرَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِي مَزْمُورِهِ الثَّانِي بَعْدَ الْمِائَةِ عَنِ ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: "مَنْ قَدَّمَ أَسْأَلَتِ الْأَرْضَ، وَالسَّمَوَاتُ هِيَ عَمَلٌ يَدِيكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى. وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلَى. كَرْدَاءٌ تَغْيِرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهَى".^١

مِنْ نَتَائِجِ الْخَطِيئَةِ يُوجَدُ لَعْنَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّائِكِينَ فِيهَا. وَحِينَ نَتَعَقَّبُ أَسْلَ تِلْكَ اللَّعْنَةَ نَجِدُهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْصِيَةِ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ. فَلَقَدْ حَذَرَ اللَّهُ آدَمَ بِأَنَّهُ يَمُوتُ لَوْ أَكَلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَكِنْ آدَمَ انْجَرَفَ وَسَقَطَ فِي التَّجْرِبَةِ. فَأَعْلَنَ الْخَالِقُ حُكْمَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ. وَقَالَ لَهُ "مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَاكَ تَنْبُتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بَعْرَقَ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْرًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تَرَابٌ وَإِلَى التَّرَابِ تَعُودُ". إِنَّ حَيَاتِنَا فِي الْعَالَمِ مَمْرُوجَةٌ بِالْمُضَائِقَاتِ وَالْآلَامِ وَبَعْدَهَا نَتَلَقَى مَعَ الْمَوْتِ. كَثِيرُونَ مَشْغُولُونَ بِمِلذَاتِ الْعَالَمِ نَاسِينَ أَنَّ مِلذَاتِ الْعَالَمِ فَانِيَةٌ وَأَنَّ بَقَاعَنَا فِيهِ مُوقْتٌ. إِنَّ الْمَكْتُوبَ عَلَى كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَا أَسْجَادِنَا Chromosomes and Genes أَنَّهُ "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً". وَلَكِنْ شَكَرَا اللَّهَ إِنْ نَصَرَهُ مُخْلِصِنَا عَلَى لَعْنَةِ الْخَطِيئَةِ ضَمَنْتَ لَنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ حَيْثُ الْمِيرَاثُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يَنْدَسُّ وَلَا يَضْمَحَلُّ.^٢

لِنَضَعْ نَظَرِيَّاتِ الْبَشَرِ جَانِبًا. فَإِنَّهَا تَحْتَ الْاِخْتِبَارِ وَتَخْضَعُ لِلتَّجَارِبِ وَالْمُلَاحَظَاتِ وَالِاسْتِنْتِجَاتِ. وَهَذِهِ النَظَرِيَّاتُ قَدْ تَصِيبُ وَقَدْ تَخِيبُ. يَقُولُ الْعَالِمُ Osmond: إِبْنِي أَضَعُ تَقْتِي وَإِيمَانِي بِاللَّهِ وَلَيْسَ بَغْيَرٍ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي أَرَادَهَا. سِوَاءَ بِتَطْوِيرِهَا أَوْ بِخَلْقِهَا دُونَ تَطْوِيرِ. فَهُوَ بِكَلِمَةٍ يَخْلُقُ. وَفِي نَظَرِيٍّ أَنَّهُ مِنَ الْأَجْدَرِ بِنَا أَنْ لَا نَضِيعَ وَقْتًا فِي التَّفَكِيرِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ. لِأَنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ النِّظَامَ الْمُعْقَدَ فِي خَلَايَا الْأَعْضَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي أَيِّ كَائِنٍ حَيٍّ. دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ قُدْرَةٌ عُلْوِيَّةٌ بِفِكْرِ أَسْمَى. يَجْعَلُهَا مُتَكَامِلَةً مِنَ الْأَصْلِ لِتَقُومَ بِوُضُوعِهَا. وَتَكَامِلُهَا لَيْسَ ذَاتِيًا تَلْقَانِيًا. إِنَّ الْكَلِمَاتِ الْمَكْتُوبَةَ عَلَى الْوَرَقَةِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَوَادِّ كِيمَاوِيَّةٍ مِنْ مِدَادٍ وَضِعَ عَلَى وَرَقَةٍ. بَلْ هِيَ نَتَاجُ عَقْلِ مُفَكِّرٍ وَضَعْ كَلِمَاتٍ ذَاتَ مَعْنَى. كَذَلِكَ الْخَلِيَّةُ الْمُعْقَدَةُ فِي الْإِنْسَانِ مِثْلًا. هِيَ نَتَاجُ عَقْلِ مُفَكِّرٍ مُنْفِذٍ.^٣

وَيَقُولُ فِيلِيْبُ يَانِز: مِنْ أَمَدٍ طَوِيلٍ جَدًّا يَسْبِقُ فِكْرَ Albert Einstein عَنِ النَّسِيْبِيَّةِ فِي الزَّمَنِ وَالْفَرَاغِ. مِنْ أَمَدٍ طَوِيلٍ يَسْبِقُ فِكْرَ Charles Darwin عَنِ الْفَرْقَةِ الْعُظْمَى الَّتِي زَعَمُوا حُدُوثَهَا وَاسْتَنْجُوا أَنَّ مِنْ أَثَرِهَا وَجَدَ الْكَوْنُ مِنَ الْأَزْلِ كَانَ اللَّهُ مَوْجُودًا وَهُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى. قَالَ الْقَدِيْسُ Augustine إِنَّ اللَّهَ خَارِجُ نِطَاقِ الزَّمَنِ. وَلَكِنْ نَحْنُ مَحْصُورِينَ بِالْفَتْرَةِ الزَّمْنِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ لِحُظَّةٍ مَا مِنَ الزَّمَنِ الَّتِي قَدْ بَدَأَتْ بِالْخَلْقِ. إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ شَمْسَنَا الَّتِي تَشْرُقُ عَلَى دُنْيَانَا كُلِّ صَبَاحٍ هِيَ فِي مُنْتَصَفِ عُمْرِهَا الْآنَ. وَسَوْفَ تَحْتَرِقُ ذَاتِيًا فِي مَدَّةٍ لَا تَزِيدُ عَنِ خَمْسَةِ بِلَايِينَ مِنَ السِّنِينَ.

إِنَّا كَمُؤْمِنِينَ لَنَا الْوَعْدُ مِنْ مُخْلِصِنَا الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّنَا سَوْفَ نَلْحَقُ بِهِ. سَنَرَى مَجْدَهُ الْأَسْتَى وَسَنَشْتَرِكُ مَعَهُ فِي مَجْدِهِ إِلَى الْأَبَدِ. يَا لِعِظْمَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ. إِنَّهَا أَطْوَلُ مِنَ الزَّمَنِ لِأَنَّهَا مَحَبَّةٌ أَرْزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ. كَتَبَ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى تِيمُوثَاوَسَ يَقُولُ: "الَّذِي خَلَصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً لَا بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَاللِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْأَرْزَلِيَّةِ". وَكَتَبَ إِلَى تَيْطُسَ يَقُولُ: "وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لَطْفُ مُخْلِصِنَا اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَصَنَا بِغُسْلِ الْمِيَالِدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدْسِ الَّذِي سَكَبَهُ بَغْيَى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخْلِصِنَا". وَيَقُولُ بَطْرُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى: "عَالَمِينَ أَنْكُمْ أَفْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَفْنَى بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ مِنْ سَيْرِيكُمْ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلِدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ. بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ دَمِ الْمَسِيحِ. مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ وَلَكِنْ قَدْ أَظْهَرَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ".^٤

عَزِيزِي الْقَارِي.. لِيَتَكَ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. أَشْكُرُكَ وَأَمَجِدُ اسْمَكَ الْعَظِيمَ مِنْ أَجْلِ خَلَاصِكَ وَدَعْوَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي دَعَوْتَنَا بِهَا. بِمُقْتَضَى قَصْدِكَ وَنِعْمَتِكَ الَّتِي أُعْطِيتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْأَرْزَلِيَّةِ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ. مُتَكَلِّمًا عَلَى وَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزِ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:
<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر إشعياء ٥١: ٦ ، سفر المزمير ١٠٢: ٢٥ - ٢٧

^٢ سفر التكوين ٣: ١٧ - ١٩ ، الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١١: ٣٣

^٤ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ٩ ، وإلى تيطس ٣: ٤ - ٦ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٨ - ٢٠